

(وَ مِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:) تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ الْأَشْبَاحِ، وَ هِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطْبِهِ، وَ كَانَ سَائِلٌ سَأَلَهُ أَنْ يَصِفَ اللَّهَ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ عَيْنَانَا فَغَضِبَ لِذَلِكَ. رَوَى مَسْعَدَةُ بْنُ صَدَقَةَ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: خُطِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْخُطْبَةِ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ وَ ذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، صِفْ لَنَا رَبَّنَا لِنَزِدَادَ لَهُ حُبًّا وَ بِهِ مَعْرِفَةٌ، فَغَضِبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ نَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَ هُوَ مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ، فَحَمِدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَفِرُّهُ الْمَنَعُ وَ الْجُمُودُ وَ لَا يُكْذِبُهُ الْإِعْطَاءُ وَ الْجُودُ، إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِوَاهُ، وَ كُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ، وَ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ النِّعَمِ، وَ عَوَائِدِ الْمَزِيدِ وَ الْقِسَمِ، عِيَالُهُ الْخَلَائِقُ، ضَمِينُ أَرْزَاقِهِمْ، وَ قَدَرُ أَقْوَاتِهِمْ، وَ نَهَجَ سَبِيلِ الرَّاعِيْنَ إِلَيْهِ، وَ الطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ، وَ لَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْتَلْ. الْأَوَّلُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلُ فَيَكُونُ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَ الْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدُ فَيَكُونُ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَ الرَّادِعُ أَنَسَى الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تَدْرِكَهُ، مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفُ مِنْهُ الْحَالُ، وَ لَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِتِّقَالُ، وَ لَوْ وَهَبَ مَا تَفَسَّتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ، وَ ضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ: مِنْ فِلِزِّ اللَّجِينِ وَ الْعَقِيَانِ، وَ نَثَارَةِ الدَّرِّ وَ حَصِيدِ الْمَرْجَانِ. مَا أَثَرَ ذَلِكَ فِي جُودِهِ، وَ لَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ، وَ لَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ، لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ، وَ لَا يُبْخِلُهُ إِحْسَاحُ الْمُلْحِينِ.

فَانظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَاتَّمِّمْ بِهِ، وَاسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَ مَا كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي الْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرَضُهُ، وَ لَا فِي سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أَيْمَةَ الْهُدَى أَثْرُهُ فَكِلْ عِلْمُهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ. وَ اعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الْإِقْرَارُ بِجُمْلَةٍ مَا جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنِ تَنَاوُلِ مَا لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْمًا، وَ سَمَّى تَرَكَهُمْ التَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يَكْلِفْهُمْ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوحًا فَاقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، وَ لَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطِعَ قُدْرَتِهِ، وَ حَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبْرَأَ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وَ تَوَلَّهَتْ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ، وَ غَمَضَتْ مَدَاخِلَ الْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنَالَ عِلْمَ ذَاتِهِ، رَدَعَهَا وَ هِيَ تَجُوبُ مَهَاوِي سُدْفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرَفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الْإِعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَ لَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولَى الرُّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ، الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ، وَ لَا مِقْدَارٍ احْتَدَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْبُودٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَ أَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ، وَ عَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ، وَ اعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُوَّتِهِ. مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارٍ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ، وَ ظَهَرَتْ فِي الْبِدَائِعِ الَّتِي أَحَدَّثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَ أَعْلَامُ حِكْمَتِهِ، فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ

حُجَّةٌ لَهُ وَ دَلِيلًا عَلَيْهِ وَإِنْ كَانَ خَلْقًا صَامِتًا، فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةً، وَ دَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ.

وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ، وَ تَلَاْحِمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ، وَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ الْيَقِينَ بِأَنَّهُ لَا نِدْلَكَ، وَ كَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبْرَأُ التَّابِعِينَ مِنَ الْمُتَبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ، إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ، وَ نَحَلُّوكَ حَلِيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَ جَزَّأوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ، وَ قَدَّرُوكَ عَلَى الْخَلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ. وَ أَشْهَدُ أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَ الْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ، وَ نَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ، وَ أَنْكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَّاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبٍ فِكْرَهَا مُكَيِّفًا، وَ لَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا مَحْدُودًا مُصْرَفًا.

مِنْهَا: قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ، وَ دَبَّرَهُ فَالطَّفَ تَدْبِيرَهُ، وَ وَجَّهَهُ لِوَجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَ لَمْ يَقْصُرْ دُونَ الْإِتِّهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ، وَ لَمْ يَسْتَصْنَبْ إِذْ أَمَرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ، وَ كَيْفَ وَ إِنَّمَا صَدَرَتْ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ الْمُنْشِئِ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلا رَوِيَّةٍ فِكْرٍ الِ إِلَيْهَا، وَ لَا قَرِيحَةٍ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا، وَ لَا تَجْرِبَةَ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ، وَ لَا شَرِيكَ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ. فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَ أَدْعَنَ لِطَاعَتِهِ، وَ أَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ، لَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ، وَ لَا

أَنَاهُ الْمُتَلَكِّيِّ، فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوْدَهَا، وَنَهَجَ حُدُودَهَا، وَلَاعَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ
مُتَضَادِّهَا، وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا، وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ
وَ الْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ، بِدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا.

وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ: وَ نَظَمَ بِلَا تَعْلِيْقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا، وَ لَاحَمَ صُدُوعَ
انْفِرَاجِهَا، وَ وَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا، وَ ذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَ الصَّاعِدِينَ
بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونََ مِعْرَاجِهَا، وَ نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ، فَالْتَحَمَتْ عُرَى
أَشْرَاجِهَا، وَ فَتَقَ بَعْدَ الْإِرْتِقَاقِ صَوَامِتِ أَبْوَابِهَا، وَ أَقَامَ رَصْدًا مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَابِقِ
عَلَى نِقَابِهَا، وَ أَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرْقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِ، وَ أَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ
مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ، وَ جَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا، وَ قَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوءَةً مِنْ
لَيْلِهَا. وَ أَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا، وَ قَدَّرَ مَسِيرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا، لِيُمَيِّزَ
بَيْنَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ بِهِمَا، وَ لِيُعْلَمَ عَدَدُ السَّنِينَ وَ الْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا، ثُمَّ عَلَّقَ فِي
جَوْهَا فَلَكَّهَا، وَ نَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَ مَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا، وَ رَمَى
مُسْتَرْقِي السَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهْبِهَا، وَ أَجْرَاهَا عَلَى إِذْلالِ تَسْخِيرِهَا، مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا، وَ
مَسِيرِ سَائِرِهَا، وَ هَيُّوطِهَا وَ صُعُودِهَا، وَ نُحُوسِهَا وَ سُعُودِهَا.

وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الْمَلَائِكَةِ: ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمَوَاتِهِ، وَ عِمَارَةِ الصَّفِيحِ
الْأَعْلَى مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقًا بَدِيعًا مِنْ، مَلَائِكَتِهِ، وَ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا، وَ حَشَا
بِهِمْ فَتُوقَ أَجْوَانِهَا، وَ بَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلَ الْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حِطَايِرِ
الْقُدْسِ، وَ سُرَّتَاتِ الْحُجُبِ، وَ سُرَادِقَاتِ الْمَجْدِ، وَ وَرَاءَ ذَلِكَ الرَّجِيجِ الَّذِي

تَسْتَكُّ مِنْهُ الْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا، فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى
حُدُودِهَا، أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُورٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ أُولَى أَجْنِحَةٍ، تُسَبِّحُ
جَلَالَ عِزَّتِهِ، لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، وَلَا يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ
شَيْئًا مَعَهُ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ
جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ، وَحَمَلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعِ أَمْرِهِ وَ
نَهْيِهِ، وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ. فَمَا مِنْهُمْ زَانِعٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ، وَ أَمَدَّهُمْ
بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ، وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضِعِ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلًّا إِلَى
تَمَاجِيدِهِ، وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثَقِّلْهُمْ مُوَصِّرَاتُ
الْآثَامِ، وَ لَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عَقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَ لَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَرِيْمَةَ
إِيمَانِهِمْ، وَ لَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَ لَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحْنِ فِيمَا
بَيْنَهُمْ. وَ لَا سَلَبَتْهُمْ الْحَيْرَةَ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بَضْمَائِرِهِمْ، وَ سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَ
هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ، وَ لَمْ تَطْمَعُ فِيهِمُ الْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بَرِيْنَهَا عَلَى
فِكْرِهِمْ، مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ الْغَمَامِ الدَّلْحِ، وَ فِي عِظَمِ الْجِبَالِ الشَّمَخِ، وَ فِي
قَتْرَةِ الظَّلَامِ الْآيْهَمِ، وَ مِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ الْأَرْضِ السُّفْلَى، فَهِيَ
كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ الْهَوَاءِ، وَ تَحْتَهَا رِيحٌ هَفَافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى
حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَنَاهِيَةِ. قَدْ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ، وَ وَسَلَتْ حَقَائِقُ
الْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وَ قَطَعَهُمُ الْإِيْقَانُ بِهِ إِلَى الْوَلَكِ إِلَيْهِ، وَ لَمْ تُجَاوِزِ
رَغْبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ، قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وَ شَرِبُوا بِالْكَأْسِ
الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَ تَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَائِ قُلُوبِهِمْ وَ شَيْجَةَ خَيْفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ

الطَّاعَةَ اِعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ، وَ لَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ اِلَيْهِ مَادَّةً تَضُرُّعِهِمْ، وَ لَا اَطْلَقَ
عَنْهُمْ عَظِيمُ الزَّلْفَةِ رَبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَ لَمْ يَتَوَلَّاهُمُ الْاِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ
مِنْهُمْ، وَ لَا تَرَكَتْ لَهُمْ اسْتِكَانَةُ الْاِجْلَالِ نَصِيبًا فِى تَعْظِيمِ، حَسَنَاتِهِمْ، وَ لَمْ تَجْرِ
الْفُتْرَاتُ فِیْهِمْ عَلٰى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَ لَمْ تَغْضُ رَغَبَاتُهُمْ فِیْخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ، وَ
لَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُنَاجَاةِ اَسْلَاتُ اَلْسِنَتِهِمْ، وَ لَا مَلَكَتُهُمُ الْاَشْغَالُ فَتَقَطَّعَ بِهِمْ
الْجُؤَارُ اِلَيْهِ اَصْوَاتُهُمْ، وَ لَمْ تَخْتَلِفْ فِى مَقَاوِمِ الطَّاعَةِ مَنَاكِيْهِمْ، وَ لَمْ يَشُوا اِلٰى
رَاحَةِ التَّقْصِيرِ فِى اَمْرِهِ رِقَابُهُمْ، وَ لَا تَعْدُوْا عَلٰى عَزِيْمَةِ جِدِّهِمْ بِلَادَةُ الْغَفَلَاتِ، وَ لَا
تَتَضَلُّ فِى هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ الشَّهَوَاتِ. قَدْ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيْرَةً لِيَوْمِ فَاقِيْتِهِمْ، وَ
يَمْمُوْهُ عِنْدَ اِنْقِطَاعِ الْخَلْقِ اِلٰى الْمَخْلُوْقِيْنَ بِرَغْبَتِهِمْ، لَا يَقْطَعُوْنَ اَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ، وَ
لَا يَرْجِعُ بِهِمُ الْاِسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ، اِلَّا اِلٰى مَوَادِّ مِنْ قُلُوْبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ
رَجَائِهِ وَ مَخَافَتِهِ، لَمْ تَقْطَعْ اَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوْا فِى جِدِّهِمْ، وَ لَمْ تَأْسِرْهُمْ
الْاَطْمَاعُ فَيُوْثِرُوْا وَ شِيْكَ السَّعْيِ عَلٰى اجْتِهَادِهِمْ، وَ لَمْ يَسْتَعْظِمُوْا مَا مَضٰى مِنْ
اَعْمَالِهِمْ. وَ لَوْ اسْتَعْظَمُوْا ذٰلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتِ وَ جَلِيْهِمْ، وَ لَمْ يَخْتَلِفُوْا
فِى رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَ لَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ، وَ لَا تَوَلَّاهُمْ غِلَّ
التَّحَاسُدِ، وَ لَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيْبِ، وَ لَا اِقْتَسَمَتْهُمْ اَخْيَافُ الْهَمِّ، فَهَمْ اَسْرَاءُ
اِيْمَانٍ، لَمْ يَفْكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَ لَا عُدُوْلٌ، وَ لَا وْنٰى وَ لَا فُتُوْرٌ، وَ لَيْسَ فِى
اَطْبَاقِ السَّمَاءِ مَوْضِعٌ اِهَابٍ اِلَّا وَ عَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ، اَوْ سَاعٍ حَافِدٌ، يَزِدُّوْنَ عَلٰى
طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْمًا، وَ تَزِدُّوْنَ عِزَّةَ رَبِّهِمْ فِى قُلُوْبِهِمْ عَظْمًا.

وَ مِنْهَا فِي صِفَةِ الْأَرْضِ وَ دَحْوِهَا عَلَى الْمَاءِ: كَبَسَ الْأَرْضَ عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ
 مُسْتَفْحِلَةٍ، وَ لُجَجِ بَحَارِ زَاخِرَةٍ، تَلْتَطِمُ أَوْاذِيَّ أَمْوَاجِهَا، وَ تَصْطَفِقُ مُتْقَاذِفَاتُ
 أَثْبَاجِهَا وَ تَرْغُو زَبْدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا، فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ
 حَمْلِهَا، وَ سَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكُلِّكَلِهَا، وَ ذَلَّ مُسْتَخْذِيًا إِذْ تَمَعَّتْ عَلَيْهِ
 بِكَوَاهِلِهَا، فَاصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ سَاجِيًا مَقْهُورًا، وَ فِي حِكْمَةِ الذُّلِّ مُنْقَادًا
 أَسِيرًا، وَ سَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ، وَ رَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَ اعْتِلَائِهِ،
 وَ شَمُوخِ أَنْفِهِ وَ سُمُوِّ غُلَوَائِهِ وَ كَعَمْتِهِ عَلَى كِظَّةِ جَرِيَّتِهِ، فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَاتِهِ، وَ لَبَدَ
 بَعْدَ زَيْفَانِ وَ ثَبَاتِهِ. فَلَمَّا سَكَنَ هَيْجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا، وَ حَمَلَ شَوَاهِقَ
 الْجِبَالِ الشَّمَخِ الْبُدْخِ عَلَى أَكْنَافِهَا. فَجَرَّ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أَنْوْفِهَا، وَ فَرَّقَهَا
 فِي سُهُوبِ بَيْدِهَا وَ أَخَادِيدِهَا، وَ عَدَّلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَّاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا، وَ
 ذَوَاتِ الشَّنَاحِيبِ الشَّمِّ مِنْ صِيَاحِيدِهَا، فَسَكَنَتِ مِنَ الْمِيدَانِ بِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي
 قِطْعِ أَدِيمِهَا، وَ تَغْلُغَلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوَابِ خِيَاشِيمِهَا، وَ رُكُوبِهَا أَعْنَاقِ سُهُولِ
 الْأَرْضِيِّينَ وَ جَرَاثِيمِهَا، وَ فَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَ بَيْنِهَا، وَ أَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَسَمًّا لِسَاكِنِهَا، وَ
 أَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَاقِيقِهَا. ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ
 الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا، وَ لَا تَجِدُ جَدَاوِلَ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا، حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا
 نَاشِئَةً سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتِهَا، وَ تَسْتَخْرِجُ نَبَاتِهَا، أَلْفَ غَمَامِهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ، وَ
 تَبَايُنِ قَزَعِهِ، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ، وَ التَّمَعَ بَرَقَهُ فِي كِفْفِهِ، وَ لَمْ يَنْمِ
 وَمِيضُهُ فِي كَنْهَوْرِ رَبَابِهِ، وَ مَتْرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحَابًا مُتَدَارِكًا، قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ
 تَمْرِيهِ الْجُنُوبِ دَرَرَ أَهَاضِيْبِهِ، وَ دَفَعَ شَائِبِيْبِهِ. فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرَكَ بَوَانِيْهَا، وَ

بِعَاغَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ مِنَ الْعِبَاءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا، أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ
النَّبَاتَ، وَ مِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِياضِهَا، وَ تَزْدَهِي بِمَا أُلْبَسَتْهُ
مِنْ رِيْطِ أَزَاهِيرِهَا، وَ حَلِيَّةِ مَا سُمِّطَتْ بِهِ مِنْ نَاضِرِ أَنْوَارِهَا، وَ جَعَلَ ذَلِكَ بَلَاغًا
لِلْأَنْامِ، وَ رِزْقًا لِلْأَنْعَامِ، وَ خَرَقَ الْفِجَاجَ فِي أَفَاقِهَا، وَ أَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى
جَوَادِّ طُرُقِهَا.

فَلَمَّا مَهَّدَ أَرْضَهُ، وَ أَنْفَذَ أَمْرَهُ، اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرَةَ مِنْ خَلْقِهِ، وَ جَعَلَهُ أَوَّلَ
جِبَلَّتِهِ، وَ أَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ، وَ أَرْغَدَ فِيهَا أَكْلَهُ، وَ أَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ، وَ أَعْلَمَهُ أَنَّ
فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَّتِهِ، وَ الْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ
مُؤَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ، وَ لِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى
عِبَادِهِ، وَ لَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رَبُّوبِيَّتِهِ، وَ يَصِلُ بَيْنَهُمْ وَ
بَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسِنِ الْخَيْرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ، وَ مُتَحَمِّلِي وَ دَائِعِ
رِسَالَتِهِ قَرْنَا قَرْنَا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ إِلَيْهِ حُجَّتُهُ، وَ بَلَغَ
الْمَقْطَعُ عُدْرَهُ وَ نُدْرَهُ، وَ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَ قَلَّلَهَا، وَ قَسَمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَ
السَّعَةِ، فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَ مَعْسُورِهَا، وَ لِيَخْتَبِرَ بِذَلِكَ الشُّكْرَ وَ
الصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَ فَقِيرِهَا. ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا عِقَابِيْلَ فَاقْتِهَا، وَ بِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ
اِفَاتِهَا، وَ بِفِرَاجِ أَفْرَاحِهَا غُصَصَ أَتْرَاحِهَا، وَ خَلَقَ الْأَجَالَ فَاطَالَهَا وَ قَصَّرَهَا، وَ
قَدَّمَهَا وَ أَخَّرَهَا، وَ وَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا، وَ جَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا، وَ قَاطِعًا
لِمَرَاثِرِ أَقْرَانِهَا.

عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ، وَنَجْوَى الْمُتَخَافِيِّينَ، وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظَّنُونِ، وَ
 عَقْدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ، وَمَسَارِقِ إِيْمَاضِ الْجُفُونِ، وَ مَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ، وَ
 غِيَابَاتُ الْغُيُوبِ، وَ مَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِيخُ الْأَسْمَاعِ، وَ مَصَائِفِ الذَّرِّ، وَ
 مَشَاتِي الْهَوَامِّ، وَ رَجَعَ الْحَيْنِ مِنَ الْمُؤَلَّهَاتِ وَ هَمَسِ الْأَقْدَامِ، وَ مُنْفَسِحِ الشَّمْرِ مِنْ
 وَلَايِحِ غُلْفِ الْأَكْمَامِ، وَ مُنْقَمَعِ الْوُحُوشِ مِنْ غَيْرَانِ الْجِبَالِ وَأَوْدِيَّتَيْهَا، وَ مُخْتَبِأِ
 الْبُعُوضِ بَيْنَ سُوقِ الْأَشْجَارِ وَالْحَيِّتَيْهَا، وَ مَغْرِزِ الْأُورَاقِ مِنَ الْأَفْنَانِ، وَ مَحَطِّ
 الْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ الْأَصْلَابِ، وَ نَاشِئَةِ الْغُيُومِ وَ مُتَلَا حِمَيْهَا، وَ دُرُورِ قَطْرِ
 السَّحَابِ فِي مُتَرَ كِمَيْهَا، وَ مَا تَسْفَى الْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا، وَ تَعْفُو الْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا، وَ
 عَوْمِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ الرَّمَالِ، وَ مُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ الْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيهِ
 الْجِبَالِ، وَ تَعْرِيدِ ذَوَاتِ الْمَنْطِقِ فِي دِيَا جِيرِ الْأَوْكَارِ، وَ مَا أَوْعَبَتْهُ الْأَصْدَافُ وَ
 حَضَنْتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ، وَ مَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ، وَ مَا
 اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدِّيَا جِيرِ، وَ سُبُحَاتُ التُّورِ، وَ أَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ، وَ حِسِّ كُلِّ
 حَرَكَةٍ، وَ رَجَعَ كُلِّ كَلِمَةٍ، وَ تَحْرِيكِ كُلِّ شَفْءٍ، وَ مُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسْمَةٍ، وَ مِثْقَالِ كُلِّ
 ذَرَّةٍ، وَ هَمَاهِيمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ، وَ مَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ، أَوْ
 قَرَارَةِ نُطْفَةٍ، أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَ مُضْغَةٍ، أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَ سَلَالَةٍ، لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذَلِكَ
 كَلْفَةٌ، وَ لَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ، وَ لَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ
 الْأُمُورِ وَ تَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَ لَا فِتْرَةٌ، بَلْ نَفَذَهُمْ عِلْمُهُ، وَ أَحْصَاهُمْ عَدَدُهُ، وَ
 وَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَ غَمَرَهُمْ فَضْلُهُ، مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ، وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ، إِنْ تَوَمَّلَ فَخَيْرٌ مَأْمُولٍ، وَإِنْ تَرَجَّحَ فَأَكْرَمٌ مَرْجُوءٌ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أَثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ الْخَيْبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيْبَةِ، وَعَدَلْتَ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْإِدْمِيَّيْنَ وَالشَّأءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهَذَا مَقَامٌ مِنْ أَفْرَدِكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ، وَ لَمْ يَرِ مُسْتَحِقًّا لِهَذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ، وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتْهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ، فَهَبْ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

خطبه اشباح

مسعده بن صدقه از امام صادق (ع) نقل کرد، روزی در مسجد کوفه شخصی به علی (ع) گفت خدا را آنگونه توصیف کن که گویا با چشم سر او را دیده‌ایم، امام به خطابه برخاست، مسجد پر از مردم شد، در حالی که خشمناک بود و رنگ صورت امام تغییر کرده بود فرمود: ستایش خدایی را که نبخشیدن بر مال او نیفزاید، و بخشش او را فقیر نسازد، زیرا هر بخشنده‌ای جز او، اموالش کاهش یابد، و جز او هر کس از بخشش دست کشد مورد نکوهش قرار گیرد، اوست

بخشنده انواع نعمتها و بهره‌های فزاینده و تقسیم‌کننده روزی پدیده‌ها، مخلوقات همه جیره‌خوار سفره اویند، که روزی همه را تضمین، و اندازه‌اش را تعیین فرمود، به مشتاقان خویش و خواستاران آنچه در نزد اوست راه و روشن را نشان داد، سخاوت او در آنجا که از او بخواهند، از آنجا که از او درخواست نکنند، بیشتر نیست. خدا اولی است که آغاز ندارد، تا پیش از او چیزی بوده باشد، و آخری است که پایان ندارد تا چیزی پس از او وجود داشته باشد، مردمک چشمها را از مشاهده خود باز داشته است، زمان بر او نمی‌گذرد تا دچار دگرگونی گردد، و در مکانی قرار ندارد تا پندار جابجایی نسبت به او روا باشد. اگر آنچه از درون معادن کوهها بیرون می‌آید، و یا آنچه از لبان پر از خنده صدفهای دریا خارج می‌شود، از نقره‌های خالص، و طلاهای ناب، درهای غلطان، و مرجانهای دست‌چین، همه را ببخشد، در سخاوت او کمتر اثری نخواهد گذاشت، و گستردگی نعمتهایش را پایان نخواهد داد، در پیش او آنقدر از نعمتها وجود دارد که هر چه انسانها درخواست کنند تمامی نپذیرد، چون او بخشنده‌ای است که درخواست نیازمندان چشمه جود او را نمی‌خشکاند، و اصرار و درخواستهای پیاپی او را به بخل ورزیدن نمی‌کشاند.

صفات خدا در قرآن

ای پرسش‌کننده، درست بنگر، آنچه را که قرآن از صفات خدا بیان می‌دارد، به آن اعتماد کن، و از نور هدایتش بهره گیر، و آنچه را که شیطان تو را به دانستن آن وامیدارد، که کتاب خدا آن را بر تو واجب نکرده، و در سنت پیامبر (ص) و

امامان هدایتگر (ع) نیامده، رها کن و علم آن را به خدا واگذار، که این نهایت حق پروردگار بر تو است. بدان، آنها که در علم دین استوارند، خدا آنها را از فرو رفتن در آنچه که بر آنها پوشیده است و تفسیر آن را نمی‌دانند، و از فرو رفتن در اسرار نهان بی‌نیاز ساخته است، و آنان را از این رو که به عجز و ناتوانی خود در برابر غیب و آنچه که تفسیر آن را نمی‌دانند اعتراف می‌کنند، ستایش فرمود، و ترک ژرف‌نگری آنان در آنچه که خدا بر آنان واجب نساخته را راسخ بودن در علم شناسانده است. پس به همین مقدار بسنده کن! و خدا را با میزان عقل خود ارزیابی مکن، تا از تباه‌شدگان نباشی. اوست خدای توانایی که اگر وهم و خیال انسانها بخواهد برای درک اندازه قدرتش تلاش کند، و افکار بلند و دور از وسوسه‌های دانشمندان، بخواهد ژرفای غیب ملکوتش را درنوردد، و قلبهای سراسر عشق مشتاقان، برای درک کیفیت صفات او کوشش نماید، و عقلها با تلاش وصف‌ناپذیر از راههای بسیار ظریف و باریک بخواهند ذات او را درک کنند، دست قدرت بر سینه همه نواخته باز گرداند، در حالی که در تاریکیهای غیب برای رهایی خود به خدای سبحان پناه می‌برند، و با ناامیدی، و اعتراف به عجز از معرفت ذات خدا، باز می‌گردند، که با فکر و عقل نارسای بشری نمی‌توان او را درک کرد، و اندازه جلال و عزت او در قلب اندیشمندان راه نمی‌یابد. خدایی که پدیده‌ها را از هیچ آفرید، نمونه‌ای در آفرینش نداشت تا از آن استفاده کند، و یا نقشه‌ای از آفریننده‌ای پیش از خود، که از آن در آفریدن موجودات بهره گیرد و نمونه‌های فراوان از ملکوت قدرت خویش، و شگفتیهای آثار رحمت خود، که همه با زبان گویا به وجود پروردگار گواهی می‌دهند، به ما نشان داده که بی‌اختیار به معرفت و شناخت خود دعوت می‌فرماید. در آنچه

آفریده آثار صنعت و نشانه‌های حکمت او پدیدار است، که هر یک از پدیده‌ها حجت و برهانی بر وجود او می‌باشند. گرچه برخی مخلوقات، به ظاهر ساکت ولی بر تدبیر خداوندی گویا، و نشانه‌های روشنی بر قدرت و حکمت اویند! خداوند! گواهی می‌دهم، آن کس که تو را به اعضای گوناگون پدیده‌ها و مفاصل به هم پیوسته که به فرمان حکیمانه تو در لابلائی عضلات پدید آمده، تشبیه می‌کند، هرگز در ژرفای ضمیر خود تو را نشناخته، و قلب او با یقین انس نگرفته است، و نمی‌داند که هرگز برای تو همانندی نیست و گویا بیزاری پیروان گمراه از رهبران فاسد خود را نشنیده‌اند که می‌گویند: (به خدا سوگند ما در گمراهی آشکار بودیم که شما را با خدای جهانیان مساوی پنداشتیم) دروغ گفتند مشرکان که تو را بابت‌های خود همانند پنداشتند، و با وهم و خیال خود گفتند، پیکری چون بتهای ما دارد، و با پندار نادرست تو را تجزیه کرده، و با اعضا گوناگون مخلوقات تشبیه نمودند خدایا! گواهی می‌دهم آنان که تو را با چیزی از آفریده‌های تو مساوی شمارند از تو روی برتافته، و آنکه از تو روی گردان شود بر اساس آیات محکم قرآن، و شهادت براهین روشن تو، کافر است. تو همان خدای نامحدود هستی که در اندیشه‌ها ننگجی تا چگونگی ذات تو را درک نمایند، و در خیال و وهم نیایی تا تو را محدود و دارای حالات گوناگون پندارند.

وصف پروردگار در آفرینش موجودات گوناگون

آنچه را آفرید با اندازه‌گیری دقیقی استوار نمود، و با لطف و مهربانی نظمشان داد، و به خوبی تدبیر کرد، هر پدیده را برای همان جهت که آفریده شد به حرکت درآورد، چنانکه نه از حد و مرز خویش تجاوز کند و نه در رسیدن به مراحل رشد خود کوتاهی نماید، و این حرکت حساب‌شده را بدون دشواری به سامان رساند تا بر اساس اراده الهی زندگی کند، پس چگونه ممکن است سرپیچی کند؟ در حالی که همه موجودات از اراده خدا سرچشمه می‌گیرد، خدایی که پدیدآورنده موجودات گوناگون است، بدون احتیاج به اندیشه و فکری که به آن روی آورد، یا غریزه‌ای که در درون پنهان داشته باشد. او بدون تجربه از حوادث گذشته، و بدون شریکی که در ایجاد امور شگفت‌انگیز یاریش کند، موجودات را آفرید، پس آفرینش آن کامل گشت و به عبادت و اطاعت پروردگارش پرداخت دعوت او را پذیرفت و در برابر فرمان الهی سستی و درنگ نکرد و در اجرای فرمان الهی توقف نپذیرفت پس کجیهای هر چیزی را راست، و مرزهای هر یک را روشن ساخت، و با قدرت خداوندی بین اشیاء متضاد هماهنگی ایجاد کرد، و وسایل ارتباط آنان را فراهم ساخت، و موجودات را از نظر حدود، اندازه، و غرائز، و شکلها، و قالبها، و هیئتهای گوناگون، تقسیم و استوار فرمود، و با حکمت و تدبیر خویش هر یکی را به سرشتی که خود خواست درآورد.

چگونگی آفرینش آسمانها

فضای باز و پستی و بلندی و فاصله‌های وسیع آسمانها را بدون اینکه به چیزی تکیه کند، نظام بخشید، و شکافهای آن را به هم آورد، و هر یک را با آنچه که تناسب داشت و جفت بود پیوند داد، و دشواری فرود آمدن و برخاستن را آسان کرد، بر فرشتگانی که فرمان او را به خلق رسانند یا اعمال بندگان را بالا برند. در حالی که آسمان به صورت دود و بخار بود به آن فرمان داد، پس رابطه‌های آن را برقرار ساخت، سپس آنها را از هم جدا نمود و بین آنها فاصله انداخت، و بر هر راهی و شکافی از آسمان، نگاهی از شهابهای روشن گماشت، و با دست قدرت آنها را از حرکت ناموزون در فضا نگهداشت، و دستور فرمود تا برابر فرمانش تسلیم باشند و آفتاب را نشانه روشنی‌بخش روز، و ماه را، با نوری کمرنگ برای تاریکی شبها قرار داد، و آن دو را در مسیر حرکت خویش به حرکت درآورد، و حرکت آن دو را دقیق اندازه‌گیری نمود تا در درجات تعیین‌شده حرکت کنند که بین شب و روز تفاوت باشد، و قابل تشخیص شود، و با رفت و آمد آنها شماره سالها، و اندازه‌گیری زمان ممکن باشد، پس در فضای هر آسمان فلک آن را آفرید، و زیتی از گوهرهای تابنده و ستارگان درخشنده بیاراست، و آنان را که خواستند اسرار آسمانها را دزدانه دریابند، با شهابهای سوزان تیرباران کرد، و تمامی ستارگان از ثابت و استوار، و گردنده و بی‌قرار، فرودآینده و بالارونده، و نگران‌کننده و شادی‌آفرین را، تسلیم اوامر خود فرمود.

ویژگیهای فرشتگان

سپس، خداوند سبحان برای سکونت بخشیدن در آسمانها، و آباد ساختن بالاترین قسمت از ملکوت خویش، فرشتگانی شگفت آفرید، و تمام شکافها و راههای گشاده آسمانها را با فرشتگان پر کرد، و فاصله جو آسمان را از آنها گستراند، که هم‌اکنون صدای تسبیح آنها فضای آسمانها را پر کرده، در بارگاه قدس، درون پرده‌های حجاب، صحنه‌های مجد و عظمت پروردگار، طنین‌انداز است در ماورای آنها زلزله‌هایی است که گوشها را کر می‌کند و شعاعهای خیره‌کننده نور، که چشمها را از دیدن باز می‌دارد، و ناچار خیره بر جای خویش می‌ماند. خدا فرشتگانی را در صورتهای مختلف و اندازه‌های گوناگون آفرید، و بال و پرهایی برای آنها قرار داد، آنها که همواره در تسبیح جلال و عزت پروردگار بسر می‌برند. و چیزی از شگفتیهای آفرینش پدیده‌ها را به خود نسبت نمی‌دهند و در آنچه از آفرینش پدیده‌ها که خاص خداست، ادعایی ندارند. (بلکه بندگان بزرگوارند، که در سخن گفتن از او پیشی نمی‌گیرند و به فرمان الهی عمل می‌کنند) خدا فرشتگان را امین و وحی خود قرار داده، و برای رساندن پیمان امر و نهی خود به پیامبران، از آنها استفاده کرد، و روانه زمین نمود، آنها را از تردید شبهات مصونیت بخشید، که هیچکدام از فرشتگان از راه رضای حق منحرف نمی‌گردند. آنها را از یاری خویش بهرمند ساخت، و دل‌هایشان را در پوششی از تواضع و فروتنی و خشوع و آرامش درآورد، درهای آسمان را بر رویشان گشود تا خدا را به بزرگی بستایند، و برای آنها نشانه‌های روشن قرار داد تا به توحید او بال‌گشایند سنگینهای گناهان هرگز آنها را در انجام وظیفه دلسرد نساخت، و گذشت شب و روز آنها را به سوی مرگ سوق نداد، تیرهای شک و تردید خلل

در ایمانشان ایجاد نکرد، و شک و گمان در پایگاه یقین آنها راه نیافت، و آتش کینه در دل‌هایشان شعله‌ور نگردید، حیرت و سرگردانی آنها را از ایمانی که دارند و آنچه از هیبت و جلال خداوندی که در دل نهادند جدا نساخت، و سوسه‌ها در آنها راه نیافته، تا شک و تردید بر آنها تسلط یابد.

اقسام فرشتگان

گروهی از فرشتگان در آفرینش ابرهای پرآب، و در آفرینش کوه‌های عظیم و سربلند، و خلقت ظلمت و تاریکیها نقش دارند، و گروهی دیگر، قدم‌هایشان تا ژرفای زمین پایین رفته، و چونان پرچم‌های سفیدی دل فضا را شکافته‌اند، و در زیر آن بادهایی است که به نرمی حرکت کرده و در مرزهای مشخصی نگاهش می‌دارد.

صفات والای فرشتگان

اشتغال به عبادت پروردگار، فرشتگان را از دیگر کارها باز داشته، و حقیقت ایمان میان آنها و معرفت حق، پیوند لازم ایجاد کرد، نعمت یقین آنها را شیدای حق گردانید که به غیر خدا هیچ علاقه‌ای ندارند، شیرینی معرفت خدا را چشیده و از جام محبت پروردگار سیراب شدند، ترس و خوف الهی در ژرفای جان فرشتگان راه یافته، و از فراوانی عبادت قامتشان خمیده و شوق و رغبت فراوان، از زاری و گریه‌شان نکاسته است. مقام والای فرشتگان، از خشوع و فروتنی آنان

کم نکرد، و غرور و خودبینی دامگیرشان نگردید، تا اعمال نیکوی گذشته را شماره کنند، و سهمی از بزرگی و بزرگواری برای خود تصور نمایند. گذشت زمان آنان را از انجام وظائف پیاپی نرنجانده و از شوق و رغبتشان نکاسته تا از پروردگار خویش ناامید گردند، از مناجاتهای طولانی، خسته نشده، و اشتغال به غیر خدا آنها را تحت تسلط خود درنیاورده است، و از فریاد استغاثه و زاری آنها فروکش نکرده و در مقام عبادت و نیایش دوش بدوش هم همواره ایستاده‌اند، راحت طلبی آنها را به کوتاهی در انجام دستوراتش وادار نساخته، و کودنی و غفلت و فراموشی بر تلاش و کوشش و عزم راسخ فرشتگان راه نمی‌یابد، و فریبهای شهوت، همتهای بلندشان را تیرباران نمی‌کند. فرشتگان، ایمان به خدای صاحب عرش را ذخیره روز بینوای خود قرار داده و آن هنگام که خلق به غیر خدا را پایان نمی‌دهند، و شوق و علاقه خود را از انجام اوامر الهی و اطاعت پروردگار سست نمی‌کنند، آنچه آنان را شیفته طاعت خدا کرده بذر محبت است که در دل می‌پرورانند، و هیچگاه دل از بیم و امید او برنمی‌دارند، عوامل ترس آنها را از مسئولیت باز نمی‌دارد تا در انجام وظیفه سستی ورزند، طمعها به آنان شبیخون نزده تا تلاش دنیا را بر کار آخرت مقدم دارند، اعمال گذشته خود را بزرگ نمی‌شمارند، و اگر بزرگ بشمارند امیدوارند، و امید بیش از حد نمی‌گذارد تا از پروردگار ترسی در دل داشته باشند.

پاک بودن فرشتگان از رذایل اخلاقی

فرشتگان درباره پروردگار خویش به جهت وسوسه‌های شیطانی اختلاف نکرده‌اند، و برخورد‌های بد با هم نداشته و راه جدایی نگیرند، کینه‌ها و حسادتها در دلشان راه نداشته و عوامل شک و تردید و خواهش‌های نفسانی، آنها را از هم جدا نساخته، و افکار گوناگون آنان را به تفرقه نکشاده است. فرشتگان بندگان ایمانند، و طوق بندگی به گردن افکنده و هیچگاه با شک و تردید و سستی، آن را بر زمین نمی‌گذارند، در تمام آسمانها جای پوستین خالی نمی‌توان یافت مگر آنکه فرشته‌ای به سجده افتاده، یا در کار و تلاش است، طاعت فراوان آنها بر یقین و معرفتشان نسبت به پروردگار می‌افزاید، و عزت خداوند عظمت او را در قلبشان بیشتر می‌نماید.

چگونگی آفرینش زمین

زمین را بر موجهای پرخروش، و دریا‌های موج فرو نشاند، موجهایی که بالای آن به هم می‌خورد و در تلاطمی سخت هر یک، دیگری را واپس می‌زد، چونان شتران نرمست، فریادکنان و کف بر لب، به هر سوی روان بود سپس قسمتهای سرکش آب از سنگینی زمین فرو نشست و هیجان آنها بر اثر تماس با سینه زمین آرام گرفت. زیرا زمین با پشت بر آن می‌غلطید و آنهمه سر و صدای امواج ساکن و آرام‌شده، چون اسب افسارشده رام گردید. خشکیهای زمین در دل امواج، گسترده، و آب را از کبر و غرور و سرکشی و خروش باز داشت، و از

شدت حرکتش کاسته شد، و بعد از آنهمه حرکت‌های تند ساکت شد، و پس از آنهمه خروش و سرکشی متکبرانه به جای خویش ایستاد پس هنگامی که هیجان آب در اطراف زمین فرو نشست و کوه‌های سخت و مرتفع را بر دوش خود حمل نمود، چشمه‌های آب از فراز کوه‌ها بیرون آورد و آبها را در شکاف بیابانها و زمینهای هموار روان کرد، و حرکت زمین را با صخره‌های عظیم و قله کوه‌های بلند نظم داد، و زمین به جهت نفوذ کوه‌ها در سطح آن، و فرو رفتن ریشه کوه‌ها در شکافهای آن و سوار شدن بر پشت دشتها و صحراها، از لرزش و اضطراب باز ایستاد.

نقش پدیده‌های جوی در زمین

و بین زمین و جو فاصله افکند، و وزش بادها را برای ساکنان آن آماده ساخت، تمام نیازمندیها و وسائل زندگی را برای اهل زمین استخراج و مهیا فرمود، سپس هیچ جا از بلندیهای زمین را که آب چشمه‌ها و جدول نهرها به آن راه ندارد وانگذاشت، بلکه ابرهایی را آفرید تا قسمتهای مرده آن احیا شود، و گیاهان رنگارنگ برویند. قطعات بزرگ و پراکنده ابرها را به هم پیوست تا سخت به حرکت درآمدند، و با به هم خوردن ابرها، برقها درخشیدن گرفت، اما از درخشندگی ابرهای سفید کوه‌پیکر، و متراکم چیزی کاسته نشد ابرها را پی در پی فرستاد تا زمین را احاطه کردند، و بادها شیر باران را از ابرها دوشیدند، و بشدت به زمین فرو ریختند، ابرها پایین آمده سینه بر زمین ساییدند، و آنچه بر

پشت داشتند فرو ریختند که در بخشهای بی گیاه زمین انواع گیاهان رویدن گرفت، و در دامن کوهها، سبزهها پدید آمد.

زیبایهای زمین

پس زمین به وسیله باغهای زیبا، همگان را به سرور و شادی دعوت کرده، و با لباس نازک گلبرگها که بر خود پوشید، هر بینندهای را به شگفتی وامی دارد. با زینت و زیوری که از گلوبند گلهای گوناگون، خود را آراسته، هر بینندهای را به وجد می آورد، که فرآوردههای نباتی را، توشه و غذای انسان، و روزی حیوانات قرار داده است، در گوشه و کنار آن درههای عمیق آفرید، و راهها و نشانهها برای آنان که بخواهند از جادههای وسیع آن عبور کنند، تعیین کرد.

داستان زندگی آغازین آدم (ع) و اعزام پیامبران (ص)

هنگامی که خدا زمین را آماده زندگی انسان ساخت و فرمان خود را صادر فرمود، آدم (ع) را از میان مخلوقاتش برگزید، و او را نخستین و برترین مخلوق خود در زمین قرار داد، ابتدا آدم را در بهشت جای داده و خوراکهای گوارا بدو بخشید، و از آنچه که او را منع کرد پرهیز داد، و آگاهی ساخت که اقدام بر آن نافرمانی بوده و مقام و ارزش او را به خطر خواهد افکند. اما آدم (ع) از آنچه نهی شد، اقدام کرد و علم خداوند درباره او تحقق یافت، تا آنکه پس از توبه، او را از بهشت به سوی زمین فرستاد، تا با نسل خود زمین را آباد کند، و بدین

وسيله حجت را بر بندگان تمام كرد، و پس از وفات آدم (ع) زمين را از حجت خالى نگذاشت و ميان فرزندان آدم (ع) و خود، پيوند شناسايى برقرار فرمود، و قرن به قرن، حجتها و دليلها را بر زبان پيامبران آسمانى برگزيده و حاملان رسالت خويش جارى ساخت، تا اينكه سلسله انبيا توسط پيامبر اسلام، حضرت محمد (ص) به اتمام رسيد و بيان احكام و انذار و بشارت الهى به سرمنزل نهايى راه يافت.

آفرينش امكانات زندگى

روزي انسانها را اندازه گيرى و مقدر فرمود، گاهى كم و زمانى زياد، و به تنگى و وسعت، به گونه اى عادلانه تقسيم كرد تا هر كس را كه بخواهد با تنگى روزى يا وسعت آن بيازمايد، و با شكر و صبر، غنى و فقير را مورد آزمون قرار دهد. سپس روزى گسترده را با فقر و بيچارگى درآميخت، و تندرستى را با حوادث دردناك پيوند داد، دوران شادى و سرور را با غصه و اندوه نزديك ساخت، اجل و سرآمد زندگى را مشخص كرد، آن را گاهى طولانى و زمانى کوتاه قرار داد، مقدم يا موخر داشت، و براى مرگ، اسباب و وسايل فراهم ساخت، و با مرگ، رشته هاى زندگى را در هم پيچيد و پيوندهاى خويشاوندى را از هم گسست تا آزمونش گردند.

تعریف علم خداوند

خداوند از اسرار پنهانی مردم، و از نجوای آنان که آهسته سخن می‌گویند، و از آنچه که در فکرها به واسطه گمان خطور می‌کند، و تصمیمهایی که به یقین می‌پیوندد، و از نگاههای رمزی چشم که از لابلای پلکها خارج می‌گردد، آگاه است، خدا از آنچه در مخفی گاههای دلها قرار دارد، و از اموری که پشت پرده غیب پنهان است، و آنچه را که پرده‌های گوش مخفیانه می‌شنود، و از اندرون لانه‌های تابستانی مورچگان، و خانه‌های زمستانی حشرات، از آهنگ اندوهبار زنان غم‌دیده و صدای آهسته قدمها، آگاهی دارد. خدای سبحان! از جایگاه پرورش میوه در درون پرده‌های شکوفه‌ها، و از مخفیگاه غارهای حیوانات وحشی در دل کوهها، و اعماق دره‌ها، از نهانگاه پشه‌ها بین ساقه‌ها و پوست درختان، از محل پیوستگی برگها به شاخسارها، و از جایگاه به هم آمیخته شدن نطفه‌ها در پشت پدران، آگاه است. خدا از آنچه پرده ابر را به وجود می‌آورد و به هم می‌پیوندد، و از قطرات بارانی که از ابرهای متراکم می‌بارند، و از آنچه که گردبادها از روی زمین برمی‌دارند، و بارانها با سیلاب آن را فرو می‌نشانند و نابود می‌کنند، از ریشه گیاهان زمین که میان انبوه شن و ماسه پنهان شده است، از لانه پرندگان که در قله بلند کوهها جای گرفتند، و از نغمه‌های مرغان در آشیانه‌های تاریک، از لولوهایی که در دل صدفها پنهان است، و امواج دریاهایی که آنها را در دامن خویش پروراندند آگاهی دارد. خدا از آنچه که تاریکی شب آن را فرا گرفته، و یا نور خورشید بر آن تافته، و آنچه تاریکیها و امواج نور، پیایی آن را در بر می‌گیرد، از اثر هر قدمی، از احساس هر حرکتی، و آهنگ هر سختی، و جنبش هر لبی، و مکان هر موجود زنده‌ای، و وزن هر ذره‌ای، و ناله هر

صاحب اندوهی اطلاع دارد خدا هر آنچه از میوه شاخسار درختان، و برگهایی که روی زمین ریخته، و از قرارگاه نطفه و بسته شدن خون و جنین که به شکل پاره‌ای گوشت است، و پرورش‌دهنده انسان و نطفه آگاهی دارد. و برای این همه آگاهی، هیچ گونه زحمت و دشواری برای او وجود ندارد، و برای نگهداری این همه از مخلوقات رنگارنگ که پدید آورده دچار نگرانی نمی‌شود، و در تدبیر امور مخلوقات، سستی و ملالی در او راه نمی‌یابد، بلکه علم پروردگار در آنها نفوذ یافته، و همه آنها را شماره کرده است، و عدالتش همه را در بر گرفته و با کوتاهی کردن مخلوقات در ستایش او، باز فضل و کرمش تداوم یافته است.

نیایش امیرالمومنین (ع)

خدایا! تویی سزاوار ستایشهای نیکو، و بسیار و بی‌شمار تو را ستودن، اگر تو را آرزو کنند پس بهترین آرزویی، و اگر به تو امید بندند پس بهترین امید. خدایا! درهای نعمت بر من گشودی که زبان به مدح غیر تو نگشایم، و بر این نعمتها غیر از تو را ستایش نکنم، و زبان را در مدح آنان که آرزوها را قطع می‌کنند و مورد اعتماد نیستند باز نخواهم کرد، خداوندا! هر ثناگویی از سوی ستایش‌شده پاداشی دارد، به تو امیدوارم که مرا به سوی ذخائر رحمت و گنجهای آمرزش آشنا کردی. خدایا! این بنده توست که تو را یگانه می‌خواند، و توحید و یگانگی تو را سزاست، و جز تو کسی را سزاوار این ستایشها نمی‌داند خدایا! مرا به درگاه تو نیازی است که جز فضل تو جبران نکند، و آن نیازمندی را جز عطا و بخشش تو به توانگری مبدل نگرداند، پس در این مقام رضای خود را به ما عطا

فرما، و دست نیاز ما را از دامن غیر خود کوتاه گردان که (تو بر هر چیزی
توانایی)